

الغيبة

عناصر الخطبة:

تعريف الغيبة

سياق الأدلة من القرآن والسنة في التحذير من الغيبة

ما ينبغي لمن سمع غيبة أخيه المسلم

ذكر بعض أسباب الغيبة

علاج الغيبة

التفصيل

تعريف الغيبة: الغيبة -بالكسر على الأشهر- أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه فإذا ذكّرته بما ليس فيه فهو البهت والبُهتان (١).

وقال النووي: فهي ذكرُ الإنسان بما فيه مما يكره، سواء كان في بدنه، أو دينه أو دنياه أو نفسه، أو خلقه، أو خلقه، أو ماله، أو ولده، أو والده، أو زوجه، أو خادمه، أو مملوكه، أو عمامته، أو ثوبه، أو مشيته، وحركته وبشاشته وخلاسته، وعبوسه، وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك أو كتابك، أو رمزت، أو أشرت إليه بعينك، أو يدك، أو رأسك أو نحو ذلك. وأما البدن، فكقولك: أعمى، أعرج. . إلخ. وأما الدين، فكقولك: فاسق، سارق خائن، ظالم، متهاون بالصلاة، متساهل في النجاسات، ليس باراً بوالده، لا يضع الزكاة مواضعها، لا يجتنب الغيبة.

وأما الدنيا: فقليل الأدب، يتهاون بالناس، لا يرى لأحد عليه حقاً، كثير الكلام، كثير الأكل أو النوم، ينام في غير وقته، يجلس في غير موضعه. وأما المتعلق بوالده، فكقوله: أبوه فاسق، أو هندي، أو نبطي، أو زنجي، إسكاف، بزاز، نخاس، نجار، حداد، حائك.

وأما الخلق، فكقوله: سيئ الخلق، متكبر، مُراء، عجول، جبار، عاجز، ضعيف القلب، مُتهور، عبوس، خليع، ونحوه. وأما الثوب: فواسع الكمّ، طويل الذيل، وسخ الثوب ونحو ذلك، ويُقاس الباقي بما ذكرناه.

وضابطه: ذكرك الإنسان بما يكره، سواء ذكرته بلفظك أو في كتابك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك، أو يدك أو رأسك. كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم فهو غيبة محرمة، ومن ذلك المحاكاة، بأن يمشي متعارجاً أو مُطأطئاً أو على غير ذلك من الهيئات، مريدًا حكاية هيئة من يتنقّصه بذلك، فكل ذلك حرام بلا خلاف، ومن ذلك إذا ذكرَ مُصنّفُ كتابٍ شخصًا بعينه في كتابه قائلاً: قال فلان كذا مريدًا تنقيصه والشناعة عليه فهو حرام، فإن أراد بيان غلظه لئلا يُقلّد، أو بيان ضعفه في العلم لئلا يُعترّ به ويُقبل قوله، فهذا ليس غيبة، بل نصيحة واجبة يُثاب عليها إذا أراد ذلك، وكذا إذا قال المصنّف أو غيره: قال قوم أو جماعة كذا، أو وهذا غلط أو خطأ أو جهالة وغفلة ونحو ذلك فليس غيبة، إنما الغيبة ذكر الإنسان بعينه أو جماعة معينين.

ومن الغيبة المحرمة قولك: فعل كذا بعضُ الناس، أو بعضُ الفقهاء، أو بعضُ من يدّعي العلم، أو بعضُ المفتين، أو بعضُ من يُنسب إلى الصلاح أو يدّعي الزهد، أو بعضُ من مرّ بنا اليوم، أو بعضُ من رأيناه، أو نحو ذلك إذا كان المخاطب يفهمه بعينه لحصول التفهيم.

وأما النميمة: فهي نقلُ كلامِ الناس بعضهم إلى بعضٍ على جهةِ الإفساد. (٢٧)

الفرق بين الغيبة والنميمة

قال ابن حجر: واختلفَ في الغيبةِ والنميمةِ هلْ هُما مُتغايرتانِ أو مُتحدتانِ والرّاجحُ التّغايرُ وأنّ بينهما عُمومًا وخصوصًا وجهيًا وذلك لأنّ النميمةَ نقلُ حالِ الشّخصِ لِغيرِهِ على جهةِ الإفسادِ بِغيرِ رضاهُ سواءً كانَ بعلمِهِ أمْ بِغيرِ علمِهِ، والغيبةُ ذكْرُهُ في غيبتهِ بما لا يُرضيه فامتازتِ النميمةُ بِقصدِ الإفسادِ ولا يشترطُ ذلكَ في الغيبةِ وامتازتِ الغيبةُ بِكونِها في غيبةِ المَقولِ فيه واشتركتا فيما عدا ذلكَ ومنَ العُلَماءِ منْ يشترطُ في الغيبةِ أنْ يَكونَ المَقولُ فيه غائبًا واللّهُ أعلمُ. (٢٧)

وأما حكمهما، فهما محرمتان بإجماع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمهما الدلائل الصريحة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة (٢٤)

وقال ابن حجر: نَقَلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ الْإِجْمَاعَ عَلَى أَنَّهَا مِنَ الْكَبَائِرِ لِأَنَّ حَدَّ الْكَبِيرَةِ صَادِقٌ عَلَيْهَا لِأَنَّهَا مِمَّا ثَبَتَ الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِيهِ وَقَالَ الْأَذْرَعِيُّ لَمْ أَرَ مَنْ صَرَّحَ بِأَنَّهَا مِنَ الصَّغَائِرِ إِلَّا صَاحِبَ الْعُدَّةِ وَالْغَزَالِيَّ وَصَرَّحَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهَا مِنَ الْكَبَائِرِ وَإِذَا لَمْ يَثْبُتِ الْإِجْمَاعُ فَلَا أَقْلٌ مِنَ النَّفْصِيلِ فَمَنْ اغْتَابَ وَلَيْتًا لِلَّهِ أَوْ عَالِمًا لَيْسَ كَمَنْ اغْتَابَ مَجْهُولَ الْحَالَةِ مَثَلًا وَقَدْ قَالُوا ضَابِطُهَا ذِكْرُ الشَّخْصِ بِمَا يَكْرَهُ وَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَا يُقَالُ فِيهِ وَقَدْ يَشْتَدُّ تَأْذِيهِ بِذَلِكَ وَأَدَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ (٢٥)

سياق الأدلة من القرآن والسنة في التحذير من الغيبة:

١- قال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ}

قال السعدي: {وَلَا يَغْتَبُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا} والغيبة، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ذكرك أحاك بما يكره ولو كان فيه" ثم ذكر مثلاً منفراً عن الغيبة، فقال: {أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ} شبه أكل لحمه ميتاً، المكروه للنفوس غاية الكراهة، باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصاً إذا كان ميتاً، فاقد الروح، فكذا، فلنكرهوا غيبته، وأكل لحمه حياً. (٢٦).

٢- وقال سبحانه: {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}.

قال الرازي: الوَيْلُ لَفِظَةُ الدَّمِّ وَالسُّخْطِ، وَهِيَ كَلِمَةٌ كُلُّ مَكْرُوبٍ يَتَوَلَّوْنَ فَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَأَصْلُهُ وَي لِفُلَانٍ ثُمَّ كَثُرَتْ فِي كَلَامِهِمْ فَوَصِلَتْ بِاللَّامِ، وَنُكِرَ ههنا لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إِلَّا اللَّهُ. . فَنَبَّهَ بِهَذَا عَلَى قُبْحِ هَذَا الْفِعْلِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الْوَعِيدِ الَّذِي فِي هَذِهِ السُّورَةِ هَلْ يَتَنَاوَلُ كُلُّ مَنْ يَتَمَسَّكُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي الْأَفْعَالِ الرَّيْبِيَّةِ أَوْ هُوَ مَخْصُوصٌ بِأَقْوَامٍ مُّعَيَّنِينَ، وَالْمُحَقِّقُونَ قَالُوا: إِنَّهُ عَامٌّ لِكُلِّ مَنْ يَفْعَلُ

هَذَا الْفِعْلَ كَأَنَّ مَنْ كَانَ وَذَلِكَ لِأَنَّ خُصُوصَ السَّبَبِ لَا يَقْدَحُ فِي عُمُومِ اللَّفْظِ. .

وَالْهَمْزُ الْكَسْرُ قَالَ تَعَالَى: هَمَّازٍ مَشَاءٍ. وَاللَّمْزُ الطَّعْنُ وَالْمُرَادُ الْكَسْرُ مِنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ وَالنَّغْضُ مِنْهُمْ وَالطَّعْنُ فِيهِمْ. . . وَالْمُفَسِّرِينَ أَلْفَافًا، أَحَدُهَا: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْهَمْزَةُ الْمُغْتَابُ، وَاللَّمْزَةُ الْعِيَابُ وَثَانِيهَا: قَالَ أَبُو زَيْدٍ: الْهَمْزَةُ بِالْيَدِ وَاللَّمْزَةُ: بِاللِّسَانِ وَثَالِثُهَا: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: الْهَمْزَةُ بِالْمُوَاجَهَةِ وَاللَّمْزَةُ بظَهْرِ الْعَيْبِ وَرَابِعُهَا: الْهَمْزَةُ جَهْرًا وَاللَّمْزَةُ سِرًّا بِالْحَاجِبِ وَالْعَيْنِ وَخَامِسُهَا: الْهَمْزَةُ وَاللَّمْزَةُ الَّذِي يُلَقَّبُ النَّاسَ بِمَا يَكْرَهُونَ. . . وَيَدْخُلُ فِيهِ مَنْ يُحَاكِي النَّاسَ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَصْوَاتِهِمْ لِيَضْحَكُوا، وَسَادِسُهَا: قَالَ الْحَسَنُ: الْهَمْزَةُ الَّذِي يَهْمُزُ جَلِيْسَهُ يَكْسِرُ عَلَيْهِ عَيْنَهُ وَاللَّمْزَةُ الَّذِي يَذْكُرُ أَحَاةَ بِالسُّوءِ وَيَعِيْبُهُ وَسَابِعُهَا: عَنْ أَبِي الْجَوْزَاءِ قَالَ: قُلْتُ لَأَبْنِ عَبَّاسٍ: وَيَلُّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٌ مَنْ هُوَ لَاءِ الَّذِينَ يَذْمُهُمُ اللَّهُ بِالْوَيْلِ فَقَالَ: هُمُ الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمَةِ الْمَفْرُقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ النَّاعِتُونَ لِلنَّاسِ بِالْعَيْبِ. وَاعْلَمْ أَنَّ جَمِيعَ هَذِهِ الْوُجُوهِ مُتَقَارِبَةٌ رَاجِعَةٌ إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الطَّعْنُ وَإِظْهَارُ الْعَيْبِ.

ثُمَّ هَذَا عَلَى قِسْمَيْنِ فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالْجِدِّ كَمَا يَكُونُ عِنْدَ الْحَسَدِ وَالْحَقْدِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالْهَزْلِ كَمَا يَكُونُ عِنْدَ السُّخْرِيَّةِ وَالْإِضْحَاقِ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقِسْمَيْنِ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي أَمْرٍ يَتَعَلَّقُ بِالذِّينِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِالدُّنْيَا وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالصُّورَةِ أَوْ الْمَشْيِ، أَوْ الْجُلُوسِ وَأَنْوَاعُهُ كَثِيرَةٌ وَهِيَ غَيْرُ مَضْبُوتَةٍ، ثُمَّ إِظْهَارُ الْعَيْبِ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ قَدْ يَكُونُ لِحَاضِرٍ، وَقَدْ يَكُونُ لِغَائِبٍ، وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَقَدْ يَكُونُ بِاللَّفْظِ، وَقَدْ يَكُونُ بِإِشَارَةِ الرَّأْسِ وَالْعَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، وَكُلُّ ذَلِكَ دَاخِلٌ تَحْتَ النَّهْيِ وَالزَّجْرِ. . . وَلَمَّا كَانَ الرَّسُولُ أَعْظَمَ النَّاسِ مَنْصِبًا فِي الدُّينِ كَانَ الطَّعْنُ فِيهِ عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ، فَلَا جَرَمَ قَالَ: وَيَلُّ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمْزَةٌ. (٢٧)

٣- عن عائشة ' قالت: قلت للنبي -صلى الله عليه وسلم-: حسبك من صفة كذا وكذا - تعني قصيرة

- فقال: ((لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته))، قالت: وحكيت له إنساناً، فقال: ((ما أحب أني حكيت إنساناً، وأن لي كذا وكذا)). (٢٨) أي: خاططة مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة ننتها وقبحها(٢٩). فهذه الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر لغيرته عن حاله مع كثرتيه وغازارتيه فكيف بأعمال نزره خلطت بها(٣٠)

وقوله: (مَا أَحَبُّ أُنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا) أَي مَا يَسْرُئِي أَنْ أَتَحَدَّثَ بِعَيْبِهِ أَوْ مَا يَسْرُئِي أَنْ أُحَاكِيَهُ بِأَنْ أَفْعَلَ مِثْلَ فِعْلِهِ أَوْ أَقُولَ مِثْلَ قَوْلِهِ عَلَى وَجْهِ التَّنْقِيسِ (وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا) أَي وَلَوْ أُعْطِيتُ كَذَا وَكَذَا مِنْ الدُّنْيَا أَي شَيْئًا كَثِيرًا عَلَى ذَلِكَ (٢١١).

٤- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: " لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ، يَخْمُسُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ (٢١٢).

أي: أن الجزاء من جنس العمل، فلما كان بغيبته وبكلامه على الناس مثل الذي يأكل لحومهم، صارت عقوبته بأن يمزق جلده ولحمه بنفسه بتلك الأظفار، كما أكل لحوم الناس بولوغه في أعراضهم، فإنه هو نفسه بتلك الأظفار من النحاس يمزق لحمه ويقطع جلده بفعله، والجزاء من جنس العمل، فكما أكل لحوم الناس فإنه يأكل لحمه بتلك الأظفار. (٢١٣).

٥- وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرِضُهُ)) (٢١٤).

٦- وعن أبي هريرة الأسلمي -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: ((يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بَلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَعْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ)) (٢١٥).

والحديث فيه تنبيه على أن غيبة المسلم من شعار المنافق لا المؤمن، وفيه الوعيد بكشف الله عيوب الذين يتبعون عورات المسلمين، ومجازاتهم بسوء صنيعهم، وكشف مساويهم ولو كانوا في بيوتهم مخفيين من الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال ابن رجب: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: أَدْرَكْتُ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِيُوبٌ، فَذَكَرُوا عِيُوبَ النَّاسِ، فَذَكَرَ النَّاسُ لَهُمْ عِيُوبًا، وَأَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانَتْ لَهُمْ عِيُوبٌ، فَكَفُّوا عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ، فَنَسِيتُ عِيُوبَهُمْ أَوْ كَمَا قَالَ. . .

ثم قال واعلم أن الناس على ضربين؛

الأول: مَنْ كَانَ مَسْتُوْرًا لَا يَعْرِفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِذَا وَقَعَتْ مِنْهُ هَفْوَةٌ، أَوْ زَلَّةٌ، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ كَشْفُهَا، وَلَا هُنْكَهَا، وَلَا التَّحَدُّثُ بِهَا، لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْبَةٌ مُحَرَّمَةٌ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ النُّصُوصُ، وَفِي ذَلِكَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩] [النور: ١٩]. وَالْمُرَادُ: إِشَاعَةُ الْفَاحِشَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِ الْمُسْتَتِرِ فِيمَا وَقَعَ مِنْهُ، أَوْ اتُّهِمَ بِهِ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ، كَمَا فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ. قَالَ بَعْضُ الْوُزَرَاءِ الصَّالِحِينَ لِبَعْضِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ: اجْتَهِدْ أَنْ تَسْتُرَ الْعِصَاةَ، فَإِنَّ ظُهُورَ مَعَاصِيهِمْ عَيْبٌ فِي أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَأَوْلَى الْأُمُورِ سِتْرُ الْعِيُوبِ.

وَالثَّانِي: مَنْ كَانَ مُسْتَهْرًا بِالْمَعَاصِي، مُعْلِنًا بِهَا لَا يُبَالِي بِمَا ارْتَكَبَ مِنْهَا، وَلَا بِمَا قِيلَ لَهُ فَهَذَا هُوَ الْفَاجِرُ الْمُعْلِنُ، وَلَيْسَ لَهُ غَيْبَةٌ، كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرُهُ، وَمِثْلُ هَذَا لَا بَأْسَ بِالْبَحْثِ عَنْ أَمْرِهِ لِتَقَامِ عَلَيْهِ الْحُدُودُ. صَرَّحَ بِذَلِكَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا، وَاسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "وَاعْدُ يَا أُنَيْسُ عَلَى امْرَأَةٍ هَذَا، فَإِنْ اعْتَرَفَتْ، فَارْجُمَهَا". وَمِثْلُ هَذَا لَا يُشْفَعُ لَهُ إِذَا أُخِذَ، وَلَوْ لَمْ يَبْلُغِ السُّلْطَانَ، بَلْ يُتْرَكُ حَتَّى يُقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ لِيَنْكَفَ شَرُّهُ، وَيَرْتَدِعَ بِهِ أَمثَالُهُ. قَالَ مَالِكٌ: مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنْهُ أَذَى لِلنَّاسِ، وَإِنَّمَا كَانَتْ مِنْهُ زَلَّةٌ، فَلَا بَأْسَ أَنْ يُشْفَعَ لَهُ مَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِمَامَ، وَأَمَّا مَنْ عُرِفَ بِشَرٍّ أَوْ فَسَادٍ، فَلَا أَحِبُّ أَنْ يُشْفَعَ لَهُ أَحَدٌ، وَلَكِنْ يُتْرَكُ حَتَّى يُقَامَ عَلَيْهِ الْحَدُّ، حَكَاهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ وَغَيْرُهُ. (٢١٦)

٧- وعن المستورد بن شداد -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((مَنْ أَكَلَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ أَكَلَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يُطْعِمُهُ مِثْلَهَا مِنْ جَهَنَّمَ وَمَنْ كَسَى ثَوْبًا بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْسُوهُ مِثْلَهُ مِنْ جَهَنَّمَ وَمَنْ قَامَ بِرَجُلٍ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُومُ بِهِ مَقَامَ سَمْعَةَ وَرِيَاءٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (٢١٧).

٨- عَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَأَنَّ عَلِيَّ رُؤُوسَنَا الرَّخَمَ مَا يَتَكَلَّمُ مِنَّا مُتَكَلِّمٌ إِذْ جَاءَهُ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفْتِنَا فِي كَذَا أَفْتِنَا فِي كَذَا فَقَالَ " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَضَعَ عَنْكُمْ الْحَرَجَ إِلَّا أَمْرًا اقْتَرَضَ مِنْ عَرَضِ أَخِيهِ فَذَلِكَ الَّذِي حَرَجَ وَهَلَكَ)) (٢١٨).

ومعناه إلا من اغتاب أخاه أو سبه أو آذاه في نفسه عبر عنه بالاقتراض لأنه يسترد منه في العقبى. (٢١٩)

٩- عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَنَّهُ قَالَ: " مِنْ أَرْبَى الرَّبِّاِ الْاسْتِطَالَةُ فِي عَرَضِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ)) (٢٢٠).

ما ينبغي لمن سمع غيبة أخيه المسلم

قال النووي: ((اعلم أنه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردّها ويزجرَ قائلها، فإن لم ينزجرْ بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان، فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممن له عليه حق، أو كان من أهل الفضل والصلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر.)) (٢٢١).

وعن عتبان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن قاتلاً قال: أَيُّنَ مَالِكِ بْنِ الدُّخَيْشِينَ أَوْ ابْنِ الدُّخَشَنِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " لَا تَقُلْ ذَلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ " قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَا نَرَى وَجْهَهُ وَنَصِيحَتَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ ". (٢٢٢)

وسكوت المستمع خذلان لأخيه في موطن احتاج فيه لنصرته وقد حذر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من ذلك في حديث جابر بن عبد الله وأبي طلحة~ قالاً: قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ((مَا مِنْ أَمْرٍ يَخْذُلُ أَمْرًا مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ تَنْتَهَكُ فِي حُرْمَتِهِ وَيُنْتَقِصُ فِيهِ مِنْ عَرَضِهِ

إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ أَمْرٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْطِنٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عَرْضِهِ وَتُنْتَهَكُ مِنْ حُرْمَتِهِ إِلَّا نَصَرَهُ

اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ)) (٢٣٣).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((مَنْ رَدَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) (٢٤٦).

وعن أسماء بنت يزيد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((مَنْ ذَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بِالْغَيْبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتَقَهُ مِنَ النَّارِ)) (٢٥٥).

ذكر بعض أسباب الغيبة إجمالاً حتى نتخلص منها بين يدي التوبة من الغيبة.

١- محاولة الانتصار للنفس. ٢- الحقد للآخرين والبغض لهم. ٣- إرادة رفعة النفس، وخفض غيره، كأن يقول: فلان جاهل، أو فهمه ضعيف، أو سقيم، أو عبارته ركيكة تدرجاً إلى لفت أنظار الناس إلى فضل نفسه، وإظهار شرفه بسلامته عن تلك النقائص التي ذكرها في من اغتابه، وهذا من الإعجاب بالنفس، نعوذ بالله من ذلك، وهو من المهلكات التي بينها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

٤- موافقة الجلساء والأصحاب، والأصدقاء، ومجاملتهم فيما هم عليه من الباطل

٥- إظهار التعجب من أصحاب المعاصي كأن يقول الإنسان: ما رأيت أعجب من فلان، كيف يخطئ وهو رجل عاقل أو كبير أو عالم أو غير ذلك، وكان من حقه عدم التعيين.

٦- الظهور بمظهر الغضب لله على من يرتكب المنكر، فيظهر غضبه، ويذكر اسمه مثل أن يقول فلان لا يستحيي من الله يفعل كذا وكذا، ويقع في عرضه بالغيبة.

٧- التصنع، واللعب، والهزل، والضحك فيجلس المغتاب فيذكر عيوب غيره مما يضحك به الناس فيضحك الناس، فعند ذلك يرتاح ويزيد من الكذب والغيبة على سبيل الهزل والنكت

والإعجاب بالنفس. وهذا ينطبق عليه حديث النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي قال فيه: ((وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيَلُؤُّ لَهُ وَيَلُؤُّ لَهُ)) (٢٧٦).

علاج الغيبة:

العلاج الأول: هو أن يعلم الإنسان أنه إذا وقع في الغيبة فهو مُتَعَرِّضٌ لسخط الله تعالى ومقتته،

كما دلت عليه الأحاديث السابقة وغيرها من الأحاديث الصحيحة، كقوله عليه الصلاة والسلام:

"إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَّبِعُنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبَعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ" (٢٧٧) ويعلم أن حسناته يؤخذ منها يوم القيامة لمن اغتابه بدلاً عما استباح من عرضه، فإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه، فربما ترجح كفة سيئاته فيدخل النار، وقد يحصل ذلك للإنسان بإذهاب حسنة واحدة من حسناته، أو بوضع سيئة واحدة من سيئات خصمه، وعلى تقدير أن لا يحصل هذا الرجحان فكفى بنقص الحسنات عقاباً مع المخاصمة والمطالبة، والسؤال، والجواب، والحساب. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فإذا آمن الإنسان المسلم بالأخبار الواردة في الغيبة وتدبرها حق التدبر لم ينطق لسانه بغيبة، وتدبر نفسه، وعيوبها، وتقصيرها، وأن يتدبر في إصلاح نفسه عن عيوب الناس والكلام فيهم، وعلى من به عيب أن يستحيي من الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية حين يرى نفسه على العيوب ويذكر عيوب غيره، بل ينبغي له أن يلتمس لأخيه عذراً ومخرجاً، ويعلم أن عجزه عن تطهير نفسه من ذلك العيب كعجزه هو عن تطهير نفسه من عيوبها فإن كان الذم له بأمر خلقه كان ذمًا للخالق؛ فإن ذم الصنعة يستلزم ذم صانعها، فليتق الله - عز وجل - ويصلح نفسه عن عيوبها، وكفى بذلك شغلاً!

العلاج الثاني: عليه أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلة إنما يتم بقطع سببها المستمدة هي منه. (٢٨١)

طريق التوبة من الغيبة:

وطريق التوبة بالنسبة لمن اغتاب المسلم هو: أن يتحلله ويطلب منه العفو إذا أمن الفتنة، أما إذا كان هذا يسبب الشحناء، أو يسبب منكرًا آخر، أو فتنة فإن المغتاب يذكره بالخير الذي فيه في المجالس التي ذكره فيها بسوء ويردُّ عنه الغيبة بجهد وطاقته، فتكون تلك بتلك إن شاء الله مع مراعاة شروط التوبة وبالله التوفيق.

[١] (النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٩٩).

[٢] (الأذكار للنووي (٣٣٦-٣٣٩).

[٣] (فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٧٣).

[٤] (الأذكار للنووي (٣٣٦-٣٣٩).

[٥] (فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٧٠).

[٦] (تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٢).

[٧] (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٣٢/ ٢٨٣).

[٨] (سنن أبي داود (٤٨٧٥) وصححه الألباني.

[٩] (المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية (١/ ٣٨٠).

[١٠] (تحفة الأحوذى (٧/ ١٧٧).

[١١] (عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/ ١٥١).

[١٢] (أخرجه أحمد (١٣٣٤٠)، أبو داود (٤٨٨٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٣٣).

[١٣] شرح سنن أبي داود للعباد (٥٥٥/١٢)، بترقيم الشاملة آليا)

[١٤] صحيح مسلم (٢٥٦٤)

[١٥] سنن أبي داود (٤٨٨٠) وقال الألباني: حسن صحيح.

[١٦] جامع العلوم والحكم ت الأرئووط (٢/٢٩١).

[١٧] سنن أبي داود (٤٨٨١)، وصححه الألباني.

[١٨] صحيح ابن حبان (٤٨٦) وصححه الألباني رحمه الله.

[١٩] حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/٣٣٩)

[٢٠] سنن أبي داود (٤٨٧٦)، وقال الألباني: صحيح.

[٢١] الأذكار للنووي (١/٣٤٣).

[٢٢] البخاري (٤٢٥)، وانظر: صحيح ابن خزيمة (١٦٥٣).

[٢٣] سنن أبي داود (٤٨٨٤)، ومسند أحمد (٤٨٨٤)، وقال أبو نعيم في الحلية (٨/١٨٩): هَذَا حَدِيثٌ ثَابِتٌ مَشْهُورٌ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٩٠).

[٢٤] الترمذي (١٩٣١)، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٢٦٢).

[٢٥] أخرجه أحمد ٦/٤٦١ وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٦٢٤٠).

[٢٦] الترمذي (٢٣١٥) وقال حديث حسن، وانظر: آفات اللسان للدكتور سعيد بن وهف القحطاني.

[٢٧] البخاري (٦٤٧٧).

[٢٨] آفات اللسان للقحطاني.